المقدمـــــــة

الحمد لله ذو الفضل والانعام والمنة والاحسان ، الحمد لله ذي الجلال والاكرام ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبأمره تقوم الارض والسموات ، وبرحمته وعنايته تحيا كل الكائنات .

والصلاة والسلام على النبي العابد التواب وعلى آل بيته الكرام .

فأن القرآن الكريم كتاب هداية واعجاز ، وقد جعله الله نوراً يهدي به من يشاء من عباده الى صراط مستقيم .

وان علم التفسير من اجل العلوم وانفعها واعظمها واشرفها ، لانه علم يتصل بأشرف كتاب واجل خطاب ، ومن المعلوم ان شرف العلم يعرف بشرف المعلوم ، وان التفسير الموضوعي هو منهج عام .

ولقد عرض القرآن الكريم هذا الموضوع عرضاً رائعاً ، استعرض فيه الواناً واصنافاً من النعم لا حد لها ، وحثنا على القيام بشكرها ، وابان لنا عن اسباب دوام هذه النعم، واسباب زوالها .

واخبرنا ان الانسان لايستطيع ان يحصي هذه النعم ولا ان يعرفها كلها .

وان كثرة النعم تدل على عظيم عناية الله تعالى ، اذ سخر له كل ما في السموات والارض ، واسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه .

لذلك كان عرض هذه النعم من اعظم مايربط الانسان بربه ، وان شكر هذه النعم والاقرار بها ونسبتها لصاحبها ، كل هذا جعل الانسان دائم الصلة بربه ، لذلك يعرض هذا البحث جانب من هذه النعم ويصوغها في موضوع واحد متكامل .

ويعرض كذلك خصائصها ومعانيها من خلال الايات المشتملة على ذكر النعمة محرراً مواطن الخلاف مع الترجيح ان أمكن .

ويعرض كذلك أهم وأعظم نعم الله على الانسان ، واهم اسباب دوام النعمة وزوالها ، ويعرض هذا البحث من القرآن الكريم لاقوام وانبياء أدوا حق النعمة بالشكر والذكر والاقرار فأدام الله عليهم النعمة في الدنيا والاخرة .

اما عن خطتي في هذا البحث فقد قسمته على ثلاث مباحث وهي كالتالي:

التمهيد: تعريف النعمة لغة واصطلاحاً .

المبحث الاول: خصائص النعمة في القرآن ، وفيه مطلبان

المطلب الاول: الله سبحانه مصدر كل نعمة .

المطلب الثاني: النعمة ابتلاء وتمحيص

المبحث الثاني: نعم الله على الانسان ، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الاول: نعمة الماء والبحار

المطلب الثاني: نعمة الله في خلق الرواسي

المطلب الثالث: تسخير الشمس والقمر

اما المبحث الثالث: نعم خاصة ، وفيه مطلبان:

المطلب الاول: نعمة الامن

المطلب الثاني: نعمة المال والزوجة والولد

واخيراً الخاتمة حيث توصلنا الى مجموعة من النتائج المهمة: واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

التمهيـــــد

تعريف النعمة لغةً

النعمة لغة :

(نِعم: بكسر النون – يراد بها النعيم والنعمى والنعماء والنعمة اي الخفض والدعه والمال ، وهو ضد البأساء والبؤسى .

والنُعم: بالضم – خلاف البؤس ، يقال: يوم نُعم ويوم بؤس ونُعم الشيء نعومه – اي صار ناعماً ولياناً .

كذلك نَعم ينَعم ، مثل : حَذَر – يحَذَر .....)[1] .

(والنَعمة: بفتح النون – يراد بها التنعم ، وبناؤها المرة من الفعل كالضربة)[2] .

تعريف النعمة اصطلاحاً:

يرى الالوسي ان النعمة : هي في الاصل الحالة المستلذة ..... وفي معنى ذلك قولهم : ماينتفع به ويستلذ ، ومنهم من زاد: ويحمد عاقبته ، ونقل الالوسي عن الطيبي ان النعمة: هي عبارة عن المنفعة المفعولة على وجهة الاحسان الى الغير)[3].

(اما الجرجاني فقد عرفها بأنها: ماقصد به الاحسان ، والنفع لا الغرض او العوض)[4] .

وقد عرفها الكفوي: (هي ماتستلذه النفس من الطبيات)[5] .

(وقد ذكر الامام الرازي خلافاً في التعريف بين اهل العلم ، حيث قال في سياق حديثه عن النعمة : فمنهم من قال: انها عبارة عن المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ، ومن زاد هذا القيد لانه يرى ان النعمة يستحق بها الشكر ، واذا كانت قبيحه لايستحق به الشكر)[6] .

المطلب الاول

الله مصدر كل نعمة

هذه الحقيقة الكبرى لا مجال لان يجادل فيها احد من الناس ، وذلك ان كل نعمة يعيش فيها الانسان ويتفيأ ظلالها ، ويستمتع بها في حياته هي من الله تعالى فهو سبحانه مصدر كل نعمة ، وان من زعم غير ذلك مطالب بالدليل على مايقوله، لان في النهاية سيقر بأن الله تعالى هو مصدر كل نعمة ، وذلك انه لايوجد احد في العالم اخبر عن نفسه بأنه خلق وقدر وسخر واوجد من العدم الا الله وحده ، واذا كانت هناك قوة اخرى تزعم ذلك فلم لاتعلن عن نفسها .

يقول الشعراوي: (لنأخذ مثلاً على ذلك شجرة الخشب التي تعطينا كل الاخشاب التي نستغلها في بيوتنا ، هذه الشجرة من اين جاءت ؟ فيقول من السويد ، وتسأل اهل السويد عن الشجرة فيقولون: من شتلات نعدها ، وتسأل من اين جاءت الشتلات ؟ فيقولون : من جيل سابق من الاشجار والجيل السابق من جيل سبقه وهكذا....

وتظل تمشي حتى تصل الى الشجرة الاولى التي اخذ منها هذا كله من الذي اوجد الشجرة الاولى .

انه الله فلا احد يستطيع ان يدعي انه خلق الشجرة الاولى او اوجدها من العدم ، وقد يقال ان هناك تهجيناً وتحسيناً لتنتج انواعاً اكثر جودة ، نقول ان هذا كله لاينفي ان الثمرة الاولى مخلوقة خلقاً مباشراً من الله ، وانه سبحانه هو مصدر هذا الخلق .

ولايوجد اي شيء اوجد من عدم على يد البشر وانما كله جاء من شيء موجود ومخلوق)[٧] .

وهذا ماتؤكده الاية الكريمة في قوله تعالى: (وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فأليه تجأرون)[٨] .

ومعنى الاية : (وما بكم من نعمةٍ ، اي كل ما يلابسكم من النعم على اختلاف انواعها فمن الله ، اي منه فتكون ماشرطيه ، ويجوز ان تكون موصوله متضمنة معنى الشرط ، وقوله " فمن الله " هو الخير والنعمة اما دينية واما دنيوية كالسعادات المالية وغيرها ، وكل واحدة من هذه تحته انواع لاتحصى ، فالكل من الله سبحانه فعلى العاقل الا يشكر الا الله)[٩] .

وفي هذا ذهب القرطبي في تفسيره: (ما: بمعنى الجزاء ، والباء في بكم متعلقة بفعل مضمر ، تقديره: وما يكن بكم من نعمة اي صحة جسم وسعة رزق وولد فمن الله تعالى)[١٠] .

وقال ابو السعود في معنى الاية (وما بكم اي شيء يلابسكم ويصاحبكم " من نعمه " اية نعمه كانت " فمن الله " فما شرطيه او موصوله متضمنة لمعنى الشرط ، بأعتبار الاخبار دون الحصول ، فأن ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بأنها منه تعالى)[١١] .

(واذا كانت هذه الاية تقترح بهذه الحقيقة ، وهي ان كل نعمة من الله فكيف يكون الامر حين يسدي بشر الى بشر فضل او عطاء ، وهل تكون كذلك من الله سبحانه ام لاتنسب اليه؟

والجواب على ذلك: ليعلم ان كل مايصل الى الخلق من النفع ودفع الضرر فهو من الله تعالى ، لان النعمة على ثلاثة اقسام:

الاولى: نعمة تفرد الله بأيجادها نحو الرزق

الثانية: نعمة وصلت من جهة غير الله في ظاهر الامر ، وفي الحقيقة فهي ايضاً وصلت من الله حتى ولو كان ذلك بطريق غير مباشر وذلك ان الله مصدر كل موجود ولانه خالق تلك النعمة ، والخالق لداعية الانعام بتلك النعمة في قلب ذلك المنعم ، الا انه عندما يجري تلك النعمة على يد ذلك العبد ليمنحها عبداً اخر كان ذلك العبد مشكوراً ، ولكن مستحق الشكر في الحقيقة هو الله .

ولقد قال تعالى (أن أشكر لي ولوالديك الي المصير)[١٢] .

فبدأ بنفسه تنبهياً على ان انعام الخلق لا يتم الا بأنعام الخالق .

الثالثة: نعم وصلت الينا من الله بسبب طاعتنا ، وهي ايضاً من الله تعالى ، لان لولا ان هدانا الله لهذه الطاعات ووفقنا لها واعاننا عليها وازاح الاعذار عنا ، لما وصلنا اي شيء منها فظهر بهذا التقرير ان جميع النعم في الحقيقة هي من الله ، فهو واهب الكل وخالقه ، لذلك لايستحق الشكر الا الله سبحانه)[١٣] .

(وقد امدنا الله سبحانه بهذه النعم رحمة منه فضلاً... فنعم الله لاتعد ولاتحصى ، ولكن لرتابة النعمة وحلولها في وقتها يتعودها الانسان ، ثم يذهب عن المنعم سبحانه الذي أسدى اليه كل تلك النعم ومنحه كل تلك العطايا ، فوجب عليه ان يعيش مع المنعم ، ويستشعر نعمه بين حين واخر)[١٤] .

وقد اقر به نبينا (صلى الله عليه واله وسلم) حيث كان يقر بذلك في كل صباح ومساء ، ليحقق كمال العبودية وتمام الخضوع والاستسلام لقد جاء عنه (صلى الله عليه واله وسلم) (من قال حين يصبح ، اللهم ماأصبح بي من نعمه او بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر، الا ادى شكر ذلك اليوم)[١٥]

قال تعالى (حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والدي)[١٦] .

وقال تعالى في حق سليمان : (فتبسم ضاحكاً من قولها قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والدي)[١٧] .

يقول صاحب التفسير المنير في قوله تعالى: " ومابكم من نعمة فمن الله"[١٨] واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله فلا مانع غيره ولا ضار سواه ، ثم يقول عن الكفار: كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة وانكار كونها من الله في قوله (ليكفروا بما اتيناهم)[١٩] ..

وبهذا نستيطع القول بأن الله هو مصدر كل نعمة يعيش فيها الانسان ويتمتع بها ، وعلى هذا فأن الانسان يجب عليه ان يحمد الله ويشكر فضله على كل نعمه اعطاها اياه ، وان الله تعالى قسم نعمه على جميع الخلق وهذا التقسيم عادل سبحانه .

المطلب الثاني

النعمة ابتلاء وتمحيص

ان كثيراً من الناس يعتقدون ويظنون ان النعمة هي قبول الله على العبد ، وانها تصير الى الانسان على وجه الاستحقاق لطاعة او لقربه او لغير ذلك من الاعمال ولايخطر بباله انها قد تكون مصدراً للابتلاء والتمحيص ، فعندما يبتلي العبد بالنعمة والاكرام بالمال او المقام ، لايدرك ان هذا الابتلاء هو تمهيد للجزاء ، وانما يحسب هذا الرزق وهذه المكانة دليلاً على استحقاقه للكرامة عند الله سبحانه ، وعلامة على اصطفاء الله له ، فيظن ان البلاء هو الجزاء والامتحان هو النتيجة .

او يبتليه بالتضييق عليه في الرزق فيحسبه جزاء له ، ويرى في ضيق الرزق مهانة عند الله ، فلو لم يرد مهانته ماضيق عليه في الرزق ، وهو في كلتا الحالتين مخطي في التصور .

(ويظهر منه الصبر على المحنة.....وقيمة العبد عند الله لاتتعلق بما عنده من عرض الدنيا فهو يعطي الصالح والطالح ، ويمنع الصالح والطالح ، انه يعطي ليبتلي ويمنع ليبتلي ، والمعول عليه هو نتيجة الابتلاء)[٢٠] .

ومصداق في قوله تعالى: (فأما الانسان اذا مابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن)[٢١] .

وقال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام): (يابن ادم اذا رأيت ربك يتابع عليك بالنعم فأحذروه)[٢٢] .

وقال الامام الصادق (عليه السلام): (كان في مناجاة الله تعالى لموسى: ياموسى.... اذا رأيت الفقر مقبلاً مرحباً بشعار الصالحين ، واذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عقوبته فما فتح الله على احد في هذه الدنيا الا بذنب لينسيه ذلك الذنب فلايتوب ، فيكون اقبال الدنيا عليه عقوبة لذنبه)[٢٣].

وقال الطبري: (بل انكره جل ثناؤه حمد الانسان ربه على نعمه دون فقره ، وشكواه الفاقة فأتبع بقوله :كلا ولكن كان ينبغي ان يحمده على الامرين في الغنى والفقر)[٢٤] وقال الزمخشري: (فأن قلت كيف سمي كلا الامرين من بسط الرزق

وتقديره ابتلاء ؟ قلت: لان كل واحد منهما اختيار للعبد ، فأذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر ، واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ، فالحكمة واحدة ونحوه قوله تعالى " ونبلوكم بالشر والخير فتنة "[٢٥]: فأن قلت : هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال (فأكرمه ونعمه)؟ قلت: لان البسط اكرام من الله لعبده بأنعامه عليه متفضلاً من غير سابقه ، واما التقدير فليس بأهانة له لان الاخلال بالتفضيل لايكون اهانة ، ولكن تركاً للكرامة)[٢٦] .

قال ابو السعود: (والعبد اذا ما ابتلاه ربه ، أي عامله معاملة من يبتليه بالغنى ، فأكرمه ونعمه ، والفاء هنا تفسيريه ، فأن الاكرام والتنعيم من الابتلاء ، فيقول "ربي أكرمن" أي: فضلني بما اعطاني من المال والجاه حسبما كنت استحقه ، ولايخطر بباله انه فضل تفضل به عليه ليبلوه ليشكر أم يكفر ، واما اذا ما ابتلاه ربه "فقدر عليه رزقه" حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ، "فيقولون ربي اهانن " ولايخطر بباله ان ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع ، مع انه ليس من الاهانة في شيء)[٢٧] .

ويرى الالوسي : (ان الاكرام والتنعيم عين المراد بالابتلاء ، ولما كان الاكرام والتنعيم في حكم شيء واحد ، اقتصر على قوله "أكرمن" في قوله تعالى "فيقول ربي أكرمن" وان كلتا الجملتين متضمنة لانكار قول الانسان الذي تضمنته ، وانكار قوله اذا ضيق عليه رزقه أهانه ، لدلالته على قصور نظره ، وسوء فكره ، حيث حسب ان تضييق الرزق اهانه ، مع انه قد يؤدي الى الكرامة ، ولعدم كونه اهانة اصلاً لم يقل سبحانه في تفسير الابتلاء فأهانه وقدر عليه رزقه ، نظير ماقال سبحانه اولاً "فأكرمه ونعمه"[٢٨] .

وعلى هذا فأن الانسان مطالب ان يحمد الله على كل حال في السراء والضراء ، وان لايحسب هذا التضييق في الرزق هو اهانة له او في المال والمقام وغيرها ، فقد يكون هذا امتحان له في حياته الدنيا واذا صبر على ماابتلاه ربه فسيكون في الاخرة سعيداً ويلقى ماصبره هناك .

المبحث الثاني

نعم الله على الانسان

المطلب الاول

نعمة الماء والبحار

الماء نعمة من اعظم نعم الله تعالى على الانسان ، فيه يكمن سر الحياة ولولا وجود الماء لما استطاع انسان ولا حيوان ولا نبات ان يعيش على سطح الارض ، قال تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)[٢٩] وكذلك قوله تعالى: (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون وعلامات بالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الله لغفور رحيم)[٣٠] .

(تبين هذه الايات قسماً من النعم الالهية غير المحدودة التي تفضل الله بها على الانسان ، فيبدأ القرآن الكريم بذكر البحار المنبع الحيوي للحياة ، فيقول (وهو الذي سخر البحر) .

وكما هو معلوم ان البحار تشكل القسم الاكبر من سطح الكرة الارضية وان الماء اساس الحياة ، ولا زالت البحار بأعتبارها المنبع المهم في ادامة جميع الكائنات الحية على سطح الكرة الارضية .

ثم يقول الباري سبحانه (لتأكلوا منه لحماً طرياً) فقد جعل الله في البحار لحماً يتناوله الانسان من غير ان يبذل جهد في تربيته ، بل اوجدته ونمته القدرة الالهية ، ومع الاشارة ان اللحوم غير الطازجة متوفرة في ذلك الزمان)[٣١] .

(ومع ماشهدته الحياة البشرية من التقدم والتمدن في كافة اصعدة الحياة لازال البحر احد المصادر الرئيسية للتغذية ، ويصطاد سنوياً مئات الالاف من الاطنان من الاسماك التي اوجدها الله تعالى لاجل الانسان ، وبذلك فقد وضع العلماء عدة مقررات لمنع تلوث مياه البحار ، ومن فوائد البحار ايضاً المواد التجميلية المستخرجة من قاعة (وتستخرجوا منه حلية تلبسوها) ، فالحس الجمالي من الامور الفطرية التي فطر الانسان عليها)[٣٢] .

فقد اوصى الاسلام كثيراً بالتزيين المعقول الخالي من اي اسراف مثل ليس اللباس الجيد والتطيب بالعطور وغيرها .

بالاضافة الى حركة السفن على سطح مياهها كوسيلة مهمة لتنقل الانسان ونقل مايحتاجه ، فيقول تعالى: ("وترى الفلك مواخر فيه)" فأن الله اعطانا هذه النعمة لنستفيد منها في التجارة ايضاً فيقول الله سبحانه (ولتبتغوا منه فضله)[٣٣]

(والفلك اي السفينة وتأتي بصيغة المفرد والجمع ، و (مواخر) جمع (ماخرة) على وزن (فخر) بمعنى شق الماء يميناً ويساراً ، وتطلق على صوت الرياح الشديد ايضاً، بأعتبار السفن تشق الماء عند حركتها بمقدمتها فيطلق عليها

الماخرة، فبدأت عبارة (ولتبتغوا من فضله) بواو العطف بما يستوجب تقدم المعطوف وتقديره (لتنتفعوا بها ولتبتغوا من فضله)[٣٤] .

وبهذا نستطيع القول ان نعمة الماء هي افضل وابرز نعمة انعمها الله تعالى على الانسان والكائنات الحية فبدونه لانستطيع العيش على وجه الارض ، وكذلك المنافع الكثيرة التي تحصل عليها من البحار من الاسماك وغيرها من المنافع التي لانستطيع عدها وحصرها .

المطلب الثاني

نعمة الله في خلق الرواسي

ان خلق الجبال يمثل نعمة عظيمة من نعم الله تعالى ، لما لها من فائدة كبيرة تؤدي الى استقرار الحياة وانتظامها فوق الارض ، ولولا نعمة الله تعالى في خلق هذه الجبال لاضطربت الارض واهتزت وتحركت حركة غريبة يصعب على الانسان العيش عليها ، ولانتهت حياة البشر على الارض ، فقال الله تعالى (وألقى في الارض رواسي ان تميد بكم)[٣٥] . (فالجبال متصلة من جذورها وتقوم بتثبيت الارض مما يجعلها مانعاً حصيناً من الزلازل الناشئة من الغازات الكامنة في باطن الارض ، اضافة لخاصية الجبال في مد القشرة الارضية بالمقاومة اللازمة امام جاذبية القمر ويقلل من اثرها الى حد كبير، والعلاقة بين الانهار والجبال علاقة وثيقة ، حيث تعتبر الجبال المخازن الاصلية للمياه ، ثم يقطع القرآن الكريم الوهم الحاصل عند البعض من ان الجبال حاجز بين ارتباط الاراضي فيما بينها ، بالاضافة الى كونها مانعاً رهيباً امام حركة النقل فيقول (وسبلاً لعلكم تهتدون) وهذه المسألة ملفتة للنظر حقاً ، حيث نجد طرق عبور يستطيع ان يتخذها الانسان سبيلاً لتنقلاته بين اكبر السلاسل الجبلية)[٣٦] .

و (الميد : اضطراب الشيء العظيم كأضطراب الارض)[٣٧]

وكذلك (ألقى : بمعنى خلق وجعل وهي عندي اخص من خلق وجعل ، وذلك ان القى تقتضي ان الله احدث الجبال ليس من الارض فأصبحت ضحى وفيها رواسيها.

(والرواسي: الثوابت ، رسا الشيء يرسوا اذا ثبت)[٣٨] .

المطلب الثالث

تسخير الشمس والقمر

سخر الله سبحانه الشمس والقمر لخدمة الانسان ومنفعته ، ولولا وجود الشمس والقمر لانعدمت الحياة على سطح الارض ، فهما يمدان الانسان ببعض اسباب بقاءه ، وهناك آيات كثيرة في الشمس والقمر منها قوله تعالى: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير)[٣٩] .

ومعنى قوله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) (معناه ان ينقص من الليل في النهار عند متقلب الصيف ، ومن النهار في الليل عند متقلب الشتاء ، وقيل معناه: انه يدخل كل واحد منهما على صاحبه ويتعقبه ، ومعنى (سخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى) قدره الله بحسب ماعلم به من مصالح خلقه الى الوقت الذي يفنيهما فيه ، فتسخير الشمس نزولها في بروج مخصوصه في اوقات مخصوصة ، وتسخير القمر جريانه على وتيرة واحدة فيستدل به على السنين والشهور .

ثم قال (ذلكم الله ربكم) فهو الذي يقدر على تسخير الشمس والقمر ، وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل ، وخلق البحرين العذب والمالح ومنع احدهما ان يختلط بالاخر ، وقوله (والذين تدعون من دون) اي توجهون عبادتكم اليهم من الاصنام والاوثان ، وقوله تعالى (وما يملكون من قطمير) اي قشرة النواة ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتاده وعطية ، فقال أمير المؤمنين . علي بن ابي طالب (عليه السلام) (ان من لايملك هذا القدر لايستحق العباده ولايكون لها)[٤٠] .

(وجاء تفسير الامثل في قوله تعالى (وسخر الشمس والقمر) حيث قال (ماعظم هذا التسخير الذي يقع تحت ارادة ومشيئة الخالق ، وفي خدمة الوجود الانساني والكائنات الحية ، حيث يشع نورهما وتفيئان العالم وتحافظان على دفء الكائنات وتساعدانها على النمو.....

ثم يضيف بعد ذلك: ان هذه الحركات والتغييرات في الاحوال ليست بدون حساب وكتاب وبدون فائدة ونتيجة)[٤١] .

وقال تعالى : (ربّ المشرقين ورب المغربين)[٤٢]

(فقد جاء عن علي بن ابراهيم في تفسير هذه الاية : (أي : مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، ومغرب الشتاء ومغرب الصيف ، وفي رواية سيف بن عميره عن اسحاق بن عمار عن ابي بصير قال : سألت أبا عبد الله الحسين (عليه السلام) عن قوله تعالى (رب المشرقين ورب المغربين) فقال المشرقين رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والمغربين الحسن والحسين (عليهم السلام))[٤٣]

وبهذا يمكننا القول ان هذه النعمة (نعمة تسخير الشمس والقمر) فقد اوجدها الله تعالى لفائدة الكائنات التي تعيش على سطح الارض وانها من اعظم نواع النعم ، ففيها النور الذي يشع على سطح الارض سواء نور الشمس وضوء القمر ، ومن دونهما لايستطيع الانسان ولا الحيوان ولا النبات العيش على سطح الارض .

المبحث الثالث

نعم خاصة

المطلب الاول: نعمة الامن.

الأمن نعمة عظيمة من نعم الله ، يمن الله بها على عباده ، بحيث يشعر الانسان في وجودها بلذة الدنيا ، وطيب متاعها ، لأن الخائف لايذوق طعم النعمة لا في مال ولا في صحة ، ولهذا كان الامن نعمة ، وكان الخوف بلاء عظيماً. والامن يعني طمانينة النفس وسكينتها ، وزوال الخوف ، والانسان لايشعر بحقيقة الامن الا عندما يخاف ويشتد خوفه ، وكلما زاد ذلك الشعور ، زادت حاجته للأمن ، وخير مثال على ذلك سيدنا ابراهيم (عليه السلام) عندما شعر بقيمة الأمن، دعا ربه أن يجعل البلد التي ترك فيها ابنه وزوجته آمناً مطمئنًا ، قال تعالى: (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً)[٤٤] .

وكذلك قال تعالى في حق يوسف (عليه السلام) : (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال أدخلوا مصر أن شاء الله آمنين)[٤٥] .

(فقد أشار نبي الله يوسف الى مسألة الأمن من بين جميع النعم ، والحق انها كذلك، لان متى ذهبت الأمن ، فإن سائر مسائل الرفاه والمذاهب المادية والمعنوية يحدق بها الخطر ، ففي جو ومحيط غير آمن ليس بمقدوره اطاعة الله فيه ، ولا الحياة الحرة الكريمة ، كما ليس بمقدور الانسان ان يفكر تفكيراً مطمئناً ، ولا السعي والجد والجهاد نحو تحقق الاهداف الاجتماعية ايضاً)[٤٦] .

وكذلك قال تعالى: (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)[٤٧] .

قوله تعالى : (كانت آمنة مطمئنة) أي يأمن الناس فيها على نفوسهم وأموالهم لا يخافون الغارة والنهب ، كما يخاف سائر العرب ، ويطمئنون فيها لايحتاجون الى ان ينتجعوا الى غيرها ، وكان مع ذلك يأتيها رزقها ، أي رزق أهلها من كل موضع ، لأن كان يجلب اليها تفضلاً منه تعالى ، وقوله (فكفرت بأنعم الله) المراد منه كفر اهل القرية بانعم الله ،

وقد اضاف الكفر الى القرية مجازاً ، ولذلك انث الفعل ، وقيل في أنعم الله ثلاثة اقوال: الاولى : يقال نعمة وأنعم كشدة وأشد .

الثانية: في جميع النعم كما قالوا أيام طعم ونعم .

الثالثة: نعماء كما في بأساء وأبؤس ، وضراء وأضر .

قال الشاعر :

وعندي قروض الخير والشر كله فبؤس لدي بؤسي ونعمي بأنعم)[٤٨] .

(وان المقصود بأن الله تعالى اذاق اهل القرية لباس الجوع والخوف ، وقد سماها لباساً ، لان يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون ، وسوء الحال كاللباس الذي لايفارق صاحبه ويلازمه ملازمة طويلة ، وكل هذا سبب تكذيبهم برسالة محمد (صلى الله عليه واله وسلم)[٤٩] .

وقوله تعالى: (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)[٥٠]

ان الموت على مايظهر هو الانتقال من نشأة الى نشأة اخرى ، كما جاء في قوله تعالى: (نحن قدرنا بينكم الموت)[٥١] .

، فلا مانع من تعلق الخلق بالموت كالحياة)[٥٢] .

ومن هذا نستطيع القول ان نعمة الامن هي من افضل النعم التي اذا اعطاها الله سبحانه للانسان يستطيع بذلك ان يحقق جميع مايريد من اساليب الرفاه المحددة ومن ابسطها العيش بدون خوف .

المطلب الثاني:

ان هذه النعم الثلاثة تضمنها مطلب واحد ، لكون هذه النعم مرتبطة ببعضها أشد الارتباط ، كون سعادة الانسان في هذه الدنيا لاتكتمل الا بتوافر النعم الثلاثة ، التي هي مطالب عامة لكل نفس بشرية مستقيمة وسوية .

والحق ان القران الكريم تحدث عن هذه النعم الثلاثة في اكثر من موضع ومنها قوله تعالى: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث)[٥٣] .

فقد جاء في تفسير الميزان: (ان فاعل زين غيره تعالى وهو الشيطان او النفس ، فالاول فلأن المقام هو مقام ذم الكفار بركونهم الى هذه المشتهيات من المال ، وأما الثاني فلأن لو كان هذا هو التزيين المنسوب اليه تعالى المراد به الميل)[٥٤] .

وجاء ايضاً في تفسير قوله تعالى : (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) (فالنساء جمع لا أحاد من لفظه ، والبنين جمع ابن وهو ذكور الاولاد ، والقناطير جمع قنطار وهو المسك المملوء ، والمقنطرة اسم مفعول ، وهذا من دأبهم انهم يعتبرون في الجوامد شيئاً)[٥٥] .

(وان الاية الكريمة تشير الى حقيقة تكوينه وهو ان الله تعالى هو الذي زين للناس ذلك ، وذلك عن طريق الخلق والفطرة الانسانية ، وان الله تعالى هو الذي جعل حب الابناء والثروة في النفس الانسانية ، لكي يختبره ويسير به في طريق التربية والتكامل والوصول الى الحقيقة الانسانية)[٥٦] .

(وهذه الاشياء الثلاثة لايحبها المسلم لذاتها ، بل يحبها لما تؤدي اليه من منافع مشروعه تنسجم مع ما احله الله لعباده، وما أذن به شرعه ، فالزواج من النساء اذا كان وفق الشرع وقصد به الاعفاف وكثرة الاولاد ، فهذا مارغب به الشرع وندب اليه، وحب البنين اذا لم يكن للتفاخر والتباهي فهو امر محمود)[٥٧] .

وقوله تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا.....)[٥٨] . (فهو إخبار منه تعالى ان كثرة الاموال التي يتنعم بها الانسان ويملكها في الدنيا ، والبنين الذين يرزقهم الله في الحياة الدنيا من جانب جمال الدنيا وفخرها)[٥٩] .

وبهذا يمكننا القول ان حب المال والبنين هو امر فطري في الانسان وضعه لله تعالى لاختباره به ، وانهما من نعم الله تعالى به يقيم الانسان حياته ، ويوسع الانسان على نفسه واهله ، وان في المال جمالاً ونفعاً ، وفي البنين قوة ودفعاً ، فيصيران بذلك زينة الحياة الدنيا .

الخاتمـــــــــــة

لقد توصلت من خلال هذا البحث المتواضع لنتائج مهمة وهي:

اولاً: ان الله تعالى هو مصدر كل نعمة يعيش فيها الانسان ويتمتع بها ، ولايوجد احد في العالم اخبر عن نفسه بأن خلق وقدر وسخر واوجد من العدم ا لاالله تعالى وحده .

ثانياً: وضحنا ان النعمة هي ابتلاء من عند الله تعالى ، فعندما ينعم الله تعالى على عبده بالمال او الاولاد وغيرها ، يظن العبد قبول الله تعالى عليه بل قد تكون مصدراً للابتلاء والتمحيص .

ثالثاً: بينا في البحث نعمة مهمة من نعم الله تعالى وهي نعمة الماء والبحار ، فهذه النعمة المهمة لايستطيع البشر الاستغناء عنها ففيه يكمن سر الحياة ، بغض النظر عن الفوائد الكثيرة والمهمة والمستخرجة من قاع البحار .

رابعاً: فصلنا في متن البحث نعمة اضافية من نعم الله تعالى وهي نعمة الجبال والرواسي ، فهذه النعمة لها فضل كبير في استقرار الارض وانتظامها ، ولولا الجبال لاضطربت واهتزت الارض .

خامساً: قلنا في البحث بنعمة تسخير الشمس والقمر ، فلولا الشمس والقمر لانعدمت الحياة على سطح الارض ، حيث يشع نورهما وتحافظان على دفء الكائنات وتساعدانها على النمو.

سادساً: بينا اهم واكبر نعمة انعمها الله تعالى على عباده وهي نعمة الامن ، فالأمن يعني طمأنينة النفس وسكينتها ، والقرآن الكريم تطرق الى هذه النعمة ، سواء في قصص الانبياء او في الاقوام التي ذكرها القرآن .

سابعاً: وفي نهاية البحث تطرقنا الى اخر نعمة من نعم الله تعالى التي لاتعد ولاتحصى وهي نعمة المال والزوجة والولد ، فهذه النعم الثلاثة تكون سعادة الانسان التي هي مطالب عامة لكل نفس بشرية .

الهوامش

(١) لسان العرب ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (لابن منظور) ، ج١٤ /٣٠٠ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، ابو القاسم ابو الحسين بن محمد الاصفهاني ، دار النشر : بيروت – لبنان ، ص٤٩ .

(٣) روح المعاني : ٩٣/٢١ .

(٤) التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ص٢٤٢ .

(٥) الكليات ، ابو البقاء الكفوي ، مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان ، ص٩١٢ .

(٦) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، ج٢٠٨/١ .

(٧) الادلة المادية على وجود الخالق سبحانه ، محمد متولي الشعراوي:- مطبعة الرسالة – القاهرة – مصر ، ١ /٩-١٠ .

(٨) النحل : ٣٥١ .

(٩) فتح القدير– محمد بن علي بن محمد الشوكاني – دار الحديث ، القاهرة – مصر ، ٢١٣/٣.

(١٠) الجامع لاحكام القران ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القطبي ، دار الحديث ، القاهرة – مصر ، ٤٦٧/٥ .

(١١) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، ابو السعود العمادي ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ٣ /٢٧١ .

(١٢) لقمان : الاية ١٤ .

(١٣) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت –

لبنان ، ط١ ، ١ / ٢٠٨ .

([١٤]) تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، اخبار اليوم ، القاهرة – مصر ، ١٣ /٨٠٠١ .

([١٥]) محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ، باب ذكر الشيء الذي اذا قال المرء عند الصباح كان مؤدياً ذلك اليوم ، ٣ / ١٤٢ .

([١٦]) الاحقاف ، ١٥ .

([١٧]) النمل ، ١٩ .

([١٨]) النحل : ٣٥ .

([١٩]) النحل : ٣٥ .

([٢٠]) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشرق ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ٦ /٣٩٠٥ .

([٢١]) الفجر : (١٥-١٦) .

([٢٢]) جمع البيان في تفسير القرآن ، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، ٤ /٣٠٢ .

([٢٣]) تفسير القمي ، ابي الحسن علي بن ابراهيم بن هاشم القمي ، مطبعة آل البيت ، قم – ايران ، ١ /٢٠٠ .

([٢٤]) جامع البيان عن تأويل القرآن ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار السرم للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر ، ط٢ ، ج١ ، ص٢٧-٨٦ .

([٢٥]) الانبياء ، ٣٥ .

([٢٦]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، ابو القاسم جاد الله محمود بن عمر

الزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ٤ / ٢١٠ .

([٢٧]) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، ٥ / ٨٧ .

([٢٨]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الالوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٠ / ١٦٠–١٦١ .

([٢٩]) الانبياء : ٣ .

([٣٠]) النحل : ١٤–١٨ .

([٣١]) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، العلامة الفقيه آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ايران – قم ، ط١ ، ٨ /١٤٧–١٤٨ .

([٣٢]) الميزان في تفسير القرآن السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدمة ، ٢ ، ١٧ / ص١٢ .

([٣٣]) التبيان في تفسير القرآن ، محمد بن الحسن الطوسي ، تح: احمد حبيب العاملي ، نشر مكتب الاعلام الاسلامي ، ط١ ، ٥ / ص١٤٤ .

([٣٤]) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١٤٩/٨ .

([٣٥]) النحل : ١٥ .

([٣٦]) تفسير القمي ، ابي الحسن علي بن ابراهيم القمي (ت٣٢٩هـ) ، نشر مؤسسة دار الطباعة للكتب والنشر ، قم المقدسة ، ط٣ ، ٢٦٩/١ .

([٣٧]) تاج العروس من جوهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥) تح: علي شيري ، نشر دار الفكر – بيروت ، ٥١٣/٣٨ .

([٣٨]) القواعد الفوائد في الفقه والاصول والعربية ابو عبد الله محمد بن مكي العاملي المعروف: بـ (الشهيد الاول) (ت٧٨٦) ، تح: السيد عبد الهادي الحكيم ، منشورات مكتبة المفيد ، قم – ايران ، ١٥٦/٢ .

([٣٩]) فاطر : ١٣ .

([٤٠]) التبيان في تفسير القرآن ، مجلد ٤٢٠/٨ .

([٤١]) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٣٣١/٧ .

([٤٢])الرحمن : ١٧ .

([٤٣]) تفسير القمي ، ٣٤٥/٢ .

([٤٤]) البقرة : ١٢٦ .

([٤٥]) يوسف : ٩٩ .

([٤٦]) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣٦٩/٦-٣٧٠ .

([٤٧]) النحل : ١١٢ .

([٤٨]) التبيان في تفسير القران ، ٤٣٢/٦-٤٣٣ .

([٤٩]) الجامع لاحكام القرآن ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ، نشر دار الحديث، القاهرة – مصر ، ٥٣٨/٥ .

([٥٠]) الملك : ٢ .

([٥١]) الواقعة : ٦١ .

([٥٢]) الميزان في تفسير القران ، ٤/٢٠ .

([٥٣]) آل عمران : ١٤ .

([٥٤]) الميزان في تفسير القران ، ١٠٣/٣ .

([٥٥]) الميزان في تفسير القران ، ١٠٥/٣ .

([٥٦]) الامثل في تفسيركتاب الله المنزل ، ٤١٨/٢ .

([٥٧]) تفير القرآن العظيم ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشفي ، تح: محمد ناصر الدين الالباني ، مكتبة الصفا ، القاهرة – مصر ، ١١/٢-١٢ .

([٥٨]) الكهف / ٤٦ .

([٥٩]) التبيان في تفسير القران ، ٥٣/٧ .